الفصل الثالث

أسطورة الشخصية

إن لم تكن العبادات الأولى القديمة للشعب العربى قد خلفت بذاتها أساطير وحكايات للتراث العربى ، فقد نفذ أديب الأسطورة العربى إلى هذا العالم الفسيح من باب آخر استطاع عن طريقه أن يحول جولات فى دنيا الأساطير السحرية دون أن يعترضه معترض ودون أن يمس جوهر المنع الدينى الذى فرضه وجود الإسلام كدين جمع حوله للقلوب وتألفها ونسخ كل ما عداه فى أرض العرب . وتلك هى الأعمال التى دارت حول الفترة السابقة للإسلام والممهدة له . فالناس بعبادتهم وأوثانهم وطقوسهم مادة طيبة لأديب الأسطورة ينسج منها ما يشاء من أعمال حول الشخصيات الهامة التى لعبت دوراً فى الإسلام أو أثرت فى مجريات الأحداث أثناء وبعد البعثة ...

لقد استطاع أديب الأسطورة العربية أن ينسج أساطيره وحكاياته حول آل البيت وكذلك حول الأبطال العديدين الذين لمعوا فى صدر الإسلام ، وكذلك استطاع أن يستغل حاسته الفنية فى تأصيل وتعميق أدوار القبائل والبطون ذات الثقل فى دنيا الدين الجديد كقريش مثلاً ... بل واستطاع أن يمس كذلك تواريخ الأمكنة ذات القداسة والخطر عند المسلمين كالكعبة ومكة كلها والمدينة وغيرها ، فحول بناء الكعبة وإقامة المدينة المنورة ، وحول قريش ورؤسائها وحول مكة وساكنيها من الأمم التى بادت والتى بقيت حملت لنا كتب التاريخ والأدب والأخبار والسير العديد الوافر مما يمكن أن يسلك تحت أسم الحكايات أو الأساطير، وحول سدنة الكعبة ورجال قريش قبل الإسلام وأحلافهم وحروبهم

ورحلاتهم وحول رجال قريش من أقرباء النبى صلى الله عليه وسلم الأدنين نسج كاتب الأسطورة وأديبها العربى مادة وفيرة ضخمة .

ومن هذه المادة التى تبين تسلل أديب الأسطورة العربى ، حكاية حفر بئر زمزم، ونحن نجدها فى أكثر من مصدر من مصادر التاريخ أو السير أو التفسير ولكن أحسنها سبكاً وصياغة ابن هشام فى كتابه " السيرة النبوية " حيث يقول :

" قال ابن إسحق : ثم ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه عبد المطلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان أباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ، وشرف فى قومه شرفاً لم يبلغه أحد من أبائه ، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم " .

ويأخذ ابن إسحق فى سرد أسطورة حفر بئر زمزم فيقول : قال الحارث لابن عبد المطلب : —

- مـا بك يا أبه فلست كما اعتدت أن تكون كل صباح . فقال عبد المطلب: يابنى بى أمر غريب أجد له فى نفسى وقعاً محيراً ...
- فأنا أبنك فأخبرنى لعل لى من الرأى ما يعينك ...
- أعرف يا حارث صدق مشورتك ، ولكن عدنى أن تكتم الأمر ...
- أفعل يا أبه فهات ما عندك ...
- لقد أمرت بحفر زمزم ...
- زمزم ... وما زمزم يا أبى ؟ ...
- بئر أمرنى من أتانى فى المنام بحفرها ...
- بـل أمس أخبرنى باسمها ، أما هذا الذى أتانى فقد جائنى فى الفجر وقال لى : أحفر طيبـــــة ....
- قلت له ... وما طيبـــة ؟

- قال ... أحفر بـــــرة ...
- قلت ... وما بـــره ؟

قال ابن إسحق : وسأل الحارث أباه قائلاً :

- ولم يجبك على سؤاليك ....
- أبـــدا ، فقد ذهب عنى ، ثم جائنى فى اليوم التالى وأنا نائم فى مضجعى وقال : أحفر المضنونة ....
- قلـــت ... ومـــا المضنونة ... ثم ذهب عنى وأنا أظن أن ما بى مسا من الشيطان سيذهب وحده كما جاء وحده حتى كان الأمس أن نمت حتى جاءنى قائلاً :
- أحفر زمـــــزم ...
- قلت وما زمـــــزم ؟
- قال ... لا تفرغ أبداً ولا يقل ماؤها أحفر زمزم ، أنك أن حفرتها لم تندم ، وهـــى تـــراث من أبيك الأعظم ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث والـــدم ، عـــند نقرة الغراب الأعصم ، يملأ سواد جناحيه بياض ، عند قرية النمل أحفر زمزم تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ..
- وما هى هذه العلامات يا أبـــــة ...
- أما الفرث والدم فلأن ماءها سيكون شفاء من الاسقام وطعاماً للجوعان .
- وما الغراب الأعصم ... ؟
- ورب الكعبة ما أدرى يا حارث لعلها إشارة إلى مكان الحفر ...
- وقرية النمـــــل ... ؟

- ستكون زمزم عين مكة يا بنى يردها الحجيج من كل جانب فيحملون إليها البر والشعير . وغير ذلك ومكة لا تحرث ولا تزرع ... وكذلك قرية النمل لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ...
- ما أظن إلا أن هذا الذى أتاك قد أصدقك القول يا أبة ... والرأى أن نبدأ الحفر من الغـــــــد ...
- أذن أحمـــل معولك واتبعنى عند أول خيوط فجر الغد يا حارث ونرقب مكاناً فيه غراب ينقة ...

وفى الغـــد انطلق عبد المطلب وأبنه الحارث يبحثان عن البئر ... حتى إذا أتيا إلى مكان قال عبد المطلب :

- انظر يا حارث هذه الحجارة اللينة التى تغطى عين الماء قد وصلنا إليها .
- أهـــا هـــى يا أبة ، لقد وحق وصلنا إلى زمزم ... وهنا يصيح عبد المطلب مكبراً فيظهر له نفر من قريش وينادية أحدهم قائلاً ...
- قد أدركت وحق اللات سؤالك يا عبد المطلب وبلغت البئر ...
- وماذا لكم فى الأمر ...
- يـــا عبد المطلب هذه بئر أبينا إسماعيل ... وأن لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها ...
- ما أنا بفاعل ... أن هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وأعطيته من بينكم.
- فانصفنا ، فأنا غير تاركيك حتى تخاصمك فيها ...
- أحقـــــــاً ... ؟
- نعم ... وأنا لفاعلون ... فيقول الحارث ...
- أتجرؤ يا هـــذا ... ويتدارك عبد المطلب الأمر فيخاطب الحارث ..

- رويدك يا حارث ، مالى من ولد غيرك ، وما أنت قادر على أن تمنعنى وتكف أذاهـــم عنى ... فلا بد من قبول الخصومة ... ولكننى أشهدك وأشهد البيـــت العتيق لئن ولد لى عشرة نفر ثم بلغوا معى حتى يمنعونى ... لأنحرن أحدهم عند الكعبة ...
- هذا نذر عظيم يا أبتى ...
- والموقـــف الذى اقفه الآن مضطراً مرغماً أمامهم أعظم وأجل ... ثم يدور حوار بينه وبين ذلك النفر من قريش فيطلب منهم أن يجعلوا بينه وبينهم حكماً يختارونه هم ...

ويقول أحدهـــــــم ...

- إذن فهى كاهنة بنى سعد هذيم ... يا عبد المطلب ...
- ويـــرد عبد المطلب قائلاً ... نعم وأركب إليها فى نفر من أهلى وتركبون معى إليها ... وتطول الرحلة ويشتد حر الطريق فيقول الحارث ...
- يا أبة لقد فرغ ماؤنا وظمئنا وظمأ القوم معنـــــــا ...
- لكأنى بنا من الهالكين ...
- وما الرأى يا أبـــــــة ...
- نستســـقى قريشـــاً عليها تسقينا ، اسرع براحلتك خلفى لنحدثهم فى الأمر ... ويصـــلان إلى القوم وقد وقفوا يستهدون لماء ركب عبد المطلب يصل لهم ...
- يـــا قـــوم ، لقد نفذ ماؤنا وأوشك قومى على الهلاك فلو سقيتمونا مما معكم ... ويقول أحدهم :
- لا وحق هبل يا عبد المطلب ما نعطيك من ماؤنا ... ويقول آخر ...
- نحن بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ... ويقول عبد المطلب:

- أهذه كلمتكم ... بشأنية الجواب الفصل ...
- ولا كلمة غيرها عندنا فعد إلى أهلك ...
- ويعـــود عـــبد المطلب إلى أهله يروى لهم قصته ما وقع له مع قريش حين نفذ ماؤه ويستفسرهم فى الأمر ...
- مـــاذا ترون الآن يا بنى عبد مناف وقد رفضت قريش استسقانا ... ويرد الحارث ...
- مـــا رأيـــنا إلا تبع رأيك يا أبى، فمرنا بما شئت ... وهنا يدلى عبد المطلب برأيه فيقول :
- " فـــأنى ارى أن يحفر كل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ، ثم واراه ... حتى يكون أخركم رجلاً واحـــداً ... فضيعة رجل واحد يموت بلا قبر يأوى جسده أيسر من ضيعة ركبنا جميعاً ... ويقول الحارث ...
- نعم ما أمرت يا أبة ... وليحفر كل منا قبره بيده ... هيا بنا ...
- وينـــتهى الجمع من الحفر ويقعد كل واحد فيهم أمام حفرته وتطول جلستهم فيقول الحارث لأبيه عبد المطلب :
- ها نحن قد حفر كل منا حفرته بنفسه وقعد ينتظر الموت عطشاً أمامها وقريش كلها تنظر إلينا ولا تحرك ساكنا ... ويرد عبد المطلب :
- والله يـــا حارث أن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لا نضرب فى الأرض ، ولا نبـــتغى لأنفســـنا خلاصاً ... لعجز ... فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض الطريق ... ويسأله الحارث ...
- والرأى يا أبى ؟ فيجيب عبد المطلب ...
- ارتحلوا ...

- ويأتمـــر بنو عبد مناف بأمر عبد المطلب ويهم كل منهم بركوب راحلته بغية مواصلة الرحلة بحثاً عن الماء ... وما أن يهم عبد المطلب بركوب ناقته حتى يصيح الحارث ...
- مـــا هذا ... أنتظر يا أبة ... أنتظر ... ويعجب عبد المطلب ويتساءل فى دهشة ...
- انبعـــث المـــاء من تحت الراحلة حين انبعثت واقفة ، أنخها يا حارث وأنزلنى ... وفى فرحة يصيح الحارث أنه ماء عذب يا أبى ماء عذب ... ويتهلل عـــبد المطلـــب ويرتفع صوته بالتكبير والجميع من ورائه يرددون أكبر ... أكـــبر ... أكبر ... أكبر ... ثم يدعوهم عبد المطلب إلى الماء ليشربوا ويستقوا ، ولكن صوتاً قرشياً يرتفع يسائل عبد المطلب ...
- يا عبد المطلب ، ما هذا المـــــاء كله وقد كدتم تهلكون عطشاً ... ويجيب عبد المطلب ...
- ســـقانا الله يـــا أخا قريش وأنبعث الماء تحت الناقة ... وحين يرتفع صوت قرشى آخر يسأل :
- أفنشرب ونستسقى ... يرحب عبد المطلب ويدعوهم إلى السقاية قائلاً :
- هـــلم يا أخا قريش الماء أمامكم فأشربوا واسقوا رواحلكم وأملأوا اسقيتكم ... ويرتفع صوت قرشى آخر ليقول :
- والله قد قضى لك علينا يا عبد المطلب ... ويساءل عبد المطلب ،
- ماذا تعنى ؟ ... فيجيب الرجل :
- لا نخاصـــمك فى زمـــزم أبداً ... فأن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاه هو الـــذى ســـقاك زمزم ... أرجع يا عبد المطلب على سقايتك راشداً ... ويتعجب عبد المطلب فيسأل الرجل :

- والكاهنـــــــة ؟ ويجيب القرشي :
- لا داعي للرحلة إليها فزمزم له ... لقد خلينا بينك وبينها ...

ويمضـــي ابن إسحق في روايته فيقول : " فعفت زمزم على البئر التي كانت قبلها وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ... وافتخرت بها عبد مناف، على قريش كلها وعلى سائر العرب ..."[1] .

ودائماً ما ترى ابن هشام وابن إسحق يقولان في سياق الحكايـــــــة كلمة (فـــيما سمعنا) أو (هكذا سمعت) ليؤكد أن عنصر التأليف والخيال والقص قد دخل الحكايـــة وأنهـــا في الحقـــيقة نسيج بارع قدمه أديب الأسطورة العربية ومن واقع العـــبادات والمعتقدات الوثنية ... ولكن هذه الأسطورة لا تستكمل سماتها ولا تكـــتمل لها ملامحها إلا بتعقب ما تم من أمر عبد المطلب وقسمه حين احس بعجزه عن مواجهة قريش .

ويرويها لنا ابن إسحق فيقول :

" وكـــان عبد المطلب بن هاشم – فيما يزعمون والله أعلم – قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم ، لئن ولد له عشرة وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهـــم ، ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه ، ثم ينبرى أبنه الحارث فيسأل :

- ولكن كيف نصنع يا أبة ؟ فيجيب عبد المطلب :
- ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم أتوني ؟ فيقول الحارث ؟
- نفعل جميعاً يا أبة ... ولكن ... ويستقر عبد المطلب : ولكن
- ماذا يا حارث ؟ فيجيب الحارث :

---

(1) السيرة النبويـــــــة .

- حتى عبد الله ... فيقول عبد المطلب :
- نعـــم حتى عبد الله يا حارث .. حقاً هو أحبكم إلىّ ولو أخطأه القداح فقد أبقـــى والله ولكنه لا بد أن يدخل فى القداح فهذا نذرى ولا مناص من الوفاء به ....

ويذهب عبد المطلب بأولاده إلى صاحب القداح يطلب منه أن يضرب على هؤلاء الأولاد بقداحهم ... وأيهم خرج عليه القداح ذبحه وفاء لنذره ولا يأبه عبد المطلب لصيحات المقدحين من قريش ويقول لصاحب القداح :

- أضـــرب القداح يا أخا العرب وسأدعو ربى عند هبل حتى تخبرنى بجلية الأمر ... ولكـــن القداح تخرج على عبد الله أحب الأبناء إلى قلب عبد المطلب ... ويذعن الرجل ويقول مستسلماً :
- أنه أمر الإلهة أذن ، ولا مناص من الوفاء ... هات الشفرة يا حارث واتبعنى يا عبد الله إلى اساف ونائلة ... ويتساءل الحارث ؟ ...
- يتبعك يا ابة ... لم ... فيجب عبد المطلب :
- أذبحـــه عند قدمى اساف ونائلة فهكذا كان النذر وهكذا يكون الوفاء ... ويرتفع صوت واحد من الناس :
- بل ما هكذا يتم الأمر ابداً يا عبد الله . أتذبح أبنك بيدك ، لا أبداً حتى تغدر فيه ... ويرتفع صوت آخر :
- لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بأبنه حتى يذبحه فما يفاد الناس على هذا ؟ ويتقدم رجل ثالث إلى عبد المطلب يقول له :
- والله لا تذبحـــه أبداً حتى تغدر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه ... وهنا يتحرك الحارث راجياً أباه أن يسمع كلام القوم فيسأل الناس برأيهم .
- فماذا تقولون يا قوم ؟ وتأتيه الإجابة على لسان واحد منهم حيث يقول له :

- انطلق إلى الحجاز فأن فيها عرافة لها تابع ، فسلها ، ثم أن أمرتك بذبحه ذبحته وأن أمـــرتك بأمـــر لـــك فيه فرج قبلته ... ويستريح عبد المطلب للرأى فيقول:
- أفعل ما ترون ... وفى الغد ينطلق عبد المطلب وبنوه على العرافة فى المدينة ... ولكنهم يجدون العرافة قد ذهبت إلى خيبر فينطلقون وراءها ... وفى خيـــبر يلـــتقى عبد المطلب بالعرافة ويعرض عليها الأمر كله ويسألها الرأى فتقول :
- ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فاسأله ...
- وينصـــرف عـــبد المطلب وقد وعد العرافة بالحضور فى اليوم التالى ثم يقول لأولاده :
- أذهـــبوا أنتم إلى شأنكم وسأقصد إلى الجبل أدعو ربى حتى الغد ... فأتونى نذهب وإياكم إليها ...
- وفى الغد كان عبد المطلب وبنوه عند العرافة ينتظرون ما تشير به ... وفى لهفة ينصت الجميع عندما تقول :
- الآن جاءنى الخبر ... وفى لهفة أشد يسأل الحارث ...
- خيراً يا أم العرب ... وتسأل العرافة بعد فترة صمت طويلة :
- كم الدية فيكم ؟ ... فيقول عبد المطلب ....
- عشر من الإبل ... ثم تصمت ... العرافة لحظات لتقول بعدها ...
- ارجعـــوا إلى بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم أضربوا علـــيها وعلـــيه القداح ، فأن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضـــى ربكـــم ، وأن خرجـــت على الإبل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم ...

ويعود الجميع إلى مكة – لينفذوا ما أشارت به العرافة وتضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل فتخرج على عبد الله ... فيقول الحارث :

- زيـــدوا عشـــراً من الإبل وأضرب القداح مرة أخرى يا صاحب القداح ...
- وبينما القداح تضرب يكون عبد المطلب عند هبل يصلى لله عز وجل فى عبد الله أعز ولده إليـــه وتخرج القداح على عبد الله مـــرة أخرى ... فيقول الحارث :
- أذن زيدوها عشراً ولتكن ثلاثين من الإبل وأضرب القداح ...
- وفى تلـــك الأثناء يقترب رجل من عبد المطلب وهو يصلى عند هبل ليقول له فى إشفاق :
- حنانيك يا عبد المطلب اقتصد فى دعائك فأن ربك يسمع لك ...

ويرد عبد المطلب :

- وأنى لادعـــوه أن يسمع لى وأن يرضى ، أما عرفت أن القدح يخرج على عبد الله والإبل قد وصلت إلى الخمسين والله لايرضى ولا يقبل ... ويطمئن الرجل عبد المطلب فيقول :
- بل سيقبل يا عبد المطلب فلا تراع ...
- ولكـــن الإبل تصل إلى الستين وما زالت القداح تخرج على عبد الله فيسأل صاحب القداح الحارث بن عبد المطلب .
- عبد الله مرة أخرى أتزيد الإبل يا حارث ؟ ويستجيب الحارث :
- إلى السبعين يا صاحب القداح واضرب قداحك حتى يرضى الله ..
- وتضرب القداح فتخرج على عبد الله فيقول الحارث :
- أذن فزيدوا إلى الثمانين ... ويصيح رجل فى دهشة :

- ثمانين من الإبل وعبد الله هذا كثير ... ولكن الحارث لا يلتفت على ما قاله ذلك الرجل ويأمر صاحب القداح :
- أضرب القداح يا صاحب القداح ...
- كل ذلك يحدث وعبد المطلب عند هبل يصلى لله من أجل ولده عبد الله – ثم يقترب منه صاحبه الذى رافقه فى صلواته يحدثه :
- لست أشك لحظة يا عبد المطلب أن ما نفعله اليوم أنما يحدث حدثاً فى مكة وفى قريش كلها ... ويستنكر عبد المطلب قول صاحبه ويرد عليه :
- وماذا أحدث يا أخا قريش ، نذراً أوفيه ... ويقول الصاحب:
- لا بـــل ، ديـــة تعلو بها ، فما علمنا من قبل أن أحداً جعل الدية إلا عشـــراً مـــن الإبل فالآن لا يدرى على أى حد ستصل ... وبينما يـــتحاور الصاحبان وغذا بالحارث يقبل عليهما بتهلل ويصيح بأعلى صوته ...
- يا أبة يا أبة ... خرج القداح على الإبل ونجا عبد الله ...
- وتكـــون هـــذه البشارة برداً وسلاماً على قلب عبد المطلب فيقول للحارث :
- نجا عبد الله ... نعم البشارة يا حارث ... ويسأل رجل ..
- على كم من الإبل وقف القداح يا حارث ؟ ويجب الحارث ...
- مئة من الإبل ... ويقول الرجل لعبد المطلب ...
- قـــد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب وغدت الدية منذ اليوم مئة من الإبل ... ولكن عبد المطلب يأبى إلا أن يزداد وثوقاً من رضـــــا ربه ... فيطلق صوته ...

- لا حتى اضرب عليها ثلاث مرات ...
- ويحاول الحارث أن يثنيه عن هذا الأمر ... ولكن عبد المطلب أعطى إلى صاحب القداح لا تلوى على شيء ... ويدور الضرب من جديد على عبد الله وعلى مائة من الإبل كما أراد عبد المطلب ... ثلاث مرات ... وفى كل مرة تخرج القداح على الإبل ... فيصيح صاحب القداح :
- أنها الإبل ثلاث مرات يا عبد المطلب لقد رضى هبل ولا شك ... فيطلق عبد المطلب فانحروها كلها واتركوها لا يصدعها إنسان ولا سبع ...

ويقول ابن هشام بصدد هذه الرواية :

" وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر " [1] .

هذه الحكاية بحوارها ونقلاتها وعقدها الدرامية ، واختلاق الواقع فيها بالوهم ودخول الحلم معها مدخل الحقيقة ، وارتباطها بالطقوس الوثنية والعادات القبلية المتأصلة ترسم فى تفاصيلها وترديدها طبيعة عمل الأديب العربى فى استخلاص ما استطاعه من دنيا الأساطير الحافلة ليضيفه مع حدث من أحداث التاريخ القريب من الإسلام والمرتبط به ارتباطاً وثيقاً وليجد فى حمى هذا الارتباط مجالاً واسعاً لأعمال خياله واحياء العمل القولى المرتبط ارتباطاً عضوياً بالطقوس والاحتفالات القديمة قدم الدين القديم .

---

(1) السيرة النبوية .

ومـــن هذا المدخل ولج أكثر من أديب من أدباء الأسطورة العربية متناولاً الأمـــاكن ذات الطابع الهام كزمزم والكعبة ومكة والشخصيات ذات الثقل الهام كعبد المطلب وعبد الله وغيرهما

وكل هؤلاء الأشخاص وكل هذه الأماكن أوجدت المكان الفسيح للعمل الأسطورى وأن كان ابن هشام يتحرج كما يتحرج ابن إسحق فيؤكد أنه لا تأكيد لديـــه إلا الســـماع والنقل فهذا لا ينفى دورهما فى إثبات هذه الأعمال بل وفى صياغتها أيضاً .

ومن هنا يذهب صاحب كتاب فى الرواية العربية عصر التجميع إلى أن ابن هشـــام هو أول من راد حقل القص العربى بمعنى العمل الروائى ، وأن اتجاهه كان اتجاهاً إلى الروائية قبل أن يكون اتجاهاً إلى التقريرية التاريخية [1] . ومن هنا أيضاً كـــان اتجاهه إلى اعتبار أعمال ابن هشام فى اطار العمل الروائى لا فى اطار العمل التاريخى المحقق المدروس ...

فقد ذهب الكثير من المؤرخين والمفسرين والدارسين إلى نكران كل ما جاء فى كتـــب الســـيرة والمغـــازى والأخبار مما يذهب هذا المذهب ويتجه هذا الاتجاه باعتـــباره مـــن الإسرائيليات المدسوسة على الإسلام بينما يرى صاحب كتاب فى الراوية العربية أن الأمر لم يكن فيه دس لأنه لم يقصد به الحقيقة التاريخية قـــــدر ما قصد فيه أتاح المتنفس لأديب الأسطورة العربى ...

---

(1) فى الرواية العربية للمؤلف .

فـــابن هشام هو مؤلف السيرة عن ابن إسحق ، وهو مؤلف التيجان عن وهـــب بن منبه وهو مؤلف أخبار ملوك اليمن عن عبيد بن شربة الجرهمي ... وغير هذا من أعمال فكأنه كرس حياته لتقديم هذه الأعمال في الاطار الذى يلائم الـــذوق الإســـلامي والروح الإسلامية ولا يتعارض مع التقاليد الإسلامية أو مع الـــنواهي الإسلامية التي تصد وتمنع كل ما له علاقة بالوثنيات وأهلها وتقاليدهم وعاداتهم ...

بهـــذا المفهوم يكون ابن هشام قد حمى التراث العربي جهد أديب الأسطورة العـــربي وادخلـــه في الـــتاريخ الأدبي المحفوظ بما ملك من براعة وفهم وحذق في الصياغة والمواءمة فانتقاد ما هو قريب إلى أنف المسلمين ولا يتعارض مع إيمانهم ، واختـــيار مواطن الحذف ومواطن التشكيك ، كل هذا حدد جهد ابن هشام في إعـــادة الصـــياغة لكل هذه الكتب التي حفظت لأديب الأسطورة العربي جهده وعناءه ...

*****